قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص (4)، فبراير، شباط 2020م. ص 425-383
© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

الهدايات القرآنية في سورة هود, من الآية (1)، إلى الآية (11)، دراسة تطبيقية

محمدو دوكوري بن محمود دوكوري[1]

(Quranic Guidance of Surah of Hud (From Verse 1 to 11): Case Study)

Muhammad Dukuri Bin Mahmud Dukuri

ABSTRACT

This research discusses the importance of revelation of Quranic verses. The research manifests that Quranic guidance is the best way for Muslims to straightforwardly get guided. This can be achieved by acquiring constructive knowedge, taking fruitful actions and preaching Islam to other people. Following the principle of moderation in practising Islamic teachings, seeking repentence and redemption, being continent, fearing Allah and being carful not to commit prohibitions are fundemtnal conditions for a Muslim to seek Quranic guidance. The research argues that one of the most important ways to detect and experience Quranic guidance is relateded to "the original/root of morpho-syntactic derivations" of words by coherently relating Quranic texts together and by referring back to the scholars' works, Qira'at and Islamic jurisprudence. Guidance of Quranic verses have special features and characteristics i.e. 1- the use of challenge and scentific miraculousness of the Holy Qur'an, and 2- use of some rhetorical techniques. The research finally concludes that the characteristics of the guidance of Quranic verses are: 1- comprehensiveness, 2- mastery, 3- purifying heart and self, 4- adopting stick and carrot approach (fear and hope method), 5- accuracy, 6- learning and guidance and 7- attention and care.

Keywords: *Surah Hud, Quranic Guidance, Moderation, Inference*

1 كليّة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، قسم التفسير وعلوم القرآن، Negadoucoure86@gmail.com

ملخص

تطرق البحث إلى أهمية أحوال نزول الآيات, وتوظيفها توظيفا يضمن تحقيق نتائج طيبة. كما تبين من خلال البحث أن من أهم سبل تحقيق هدايات الآيات: التدبر والاهتداء بهداياتها, وأن آكدها: الهدايات التي تقود إلى تحقيق التوحيد, وأن لا سبيل إلى ذلك إلا بالتزود بالعلم النافع المصاحب للعمل الصالح, وأن من أهم هذه السبل أيضا الدعوة إلى الله على بصيرة تامة, واتباع منهج الوسطية والاعتدال في جميع أمور الدين, ودوام التوبة والاستغفار, والزهد من الدنيا, ومراقبة الله، والحذر من الاستخفاف بمحارم الله تعالى وغير ذلك من السبل التي ورد ذكرها في البحث. وتطرق إلى أن اتباع السبل المذكورة يقود إلى تحقيق أهداف الهدايات فتؤتي أكلها, وتقود إلى سعادة الدارين. كما توصّل البحث إلى أن هم طرق العلماء في الوصول لهدايات الآيات: الرجوع إلى أصل اشتقاق الكلمة, كما أن من طرقهم في ذلك الجمع بين النصوص, والرجوع إلى أقوال السلف, والرجوع إلى القراءات القرآنية, والرجوع إلى أصول الفقه, وعلم المنطق. كما نتج عن هذا البحث أن هدايات الآيات تميزت بعدة أساليب وخصائص من أهمها: أسلوب التحدي والإعجاز, وبعض الأساليب الاستدلالية, إضافة إلى بعض الأساليب البلاغية التي وردت تفاصيلها في تضاعيف البحث. واختتم البحث بذكر خصائص لهدايات الآيات أهمها: الشمولية والإتقان, والتخلية والحلية, والجمع بين الترغيب والترهيب, والدقة في التناسب, والتعليم والإرشاد, والاهتمام والرعاية.

كلمات دالَّة: هود، الهدايات، الوسطية، الاستدلال.

1. مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله, لقد جاءت رسل ربنا بالحق, صلوات ربي وسلامه عليهم, وأوفرها وأبلغها على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ، فيه الهداية والكفاية, والنور والبصيرة، لا تنقضي عجائبه, ولا يشبع منه العلماء, وهداياته بحر لا ساحل له, أفنى العلماء أعمارهم في استنباطها واستخراجها, وتركوا لنا إرثا ثمينا, ودررا نفيسة, يقف عليها من تتبع مصنفاتهم, واطلع على كتبهم, فيرتوي من منابع الهدايات الصافية, ويرتقي في مراتب السعادة الراقية.

ومن ضمن المجهودات المبذولة في الوصول إلى الهدايات القرآنية وإبرازها للخلق – إذ كانت هي الهدف الأسمى للقرآن الكريم– هذا المشروع المبارك: مشروع الموسوعة العالمية للهدايات القرآنية, الذي تم اختيارنا – بفضل من الله وتوفيقه وامتنانه – للمشاركة فيه, فجزى الله القائمين عليه خير الجزاء وجعل ذلك في موازين حسناتهم.

وطبقا لما تصبو إليه همم القائمين على المشروع, من تطور وتقدم في المشروع, فقد نظموا – بالشراكة مع جامعة ملايا في كولا لمبور بماليزيا – مؤتمرا عالميا, ورأوا أنه من الأولوية بمكان أن يشارك طلاب الموسوعة في المؤتمر؛ لما يعود ذلك عليهم وعلى المشروع من إثراء وفائدة, ودربة وكفاءة, في إعداد المشروع المبارك إعدادا مناسبا يليق بمكانته وقدره. وعليه فقد أردت المشاركة بجزء من مباحث رسالتي في الدكتوراه, التي عنوانها: الهدايات القرآن في سورة هود، دراسة تطبيقية, من الآية (1), إلى الآية (84).

أهداف البحث:

- بيان أهمية أحوال نزول سورة هود, والاستعانة بها على فهم الآيات (في نطاق البحث).
- بيان سبل تحقيق هدايات الآيات.
- بيان أثر تحقيقها.
- بيان طرق العلماء في الوصول إليها.
- بيان أساليبها وخصائصها.

حدود البحث:

سورة هود من الآية (1) إلى الآية (12).

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الاستنباطي, من خلال قراءة ما كتبه المؤلفون عن الآيات الواردة في نطاق البحث, وتوظيفها في استخراج واستنباط هدايات جديدة, مراعيا القواعد والضوابط التي وضعها العلماء في ذلك, وخاصة ما وردت في كتاب: (الهدايات القرآنية, دراسة تأصيلية), وغيره من المصادر المهمة في ذلك, مع الاختصار حسب ما يتناسب مع طبيعة البحث.

خطة البحث:

البحث يتكون من مقدمة, ومبحث, وخاتمة.

المقدمة: وتشمل ذكر بعض من أهمية البحث, وأسبابه, وأهدافه, والمنهج المتبع فيه, وخطة البحث.

المطلب الأول: أحوال نزول السورة, وفيها خمس مسائل.

المسألة الأولى: مكان نزول السورة.

المسألة الثانية: عدد آيات السورة.

المسألة الثالثة: ترتيب السورة بين السور.

المسألة الرابعة: أسباب نزول الآيات (في نطاق البحث).

المسألة الخامسة: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الثاني: الهدايات الخاصة بالآيات: (1-11).

المطلب الثالث: سبل تحقيق هدايات الآيات.

المطلب الرابع: أثر تحقيق هدايات الآيات.

المطلب الخامس: طرق العلماء في الوصول إلى هدايات الآيات.

المطلب السادس: أساليب وخصائص هدايات الآيات.

الخاتمة.

2. المطلب الأول: أحوال نزول السورة, وفيه خمس مسائل:

- **المسألة الأولى: مكان نزول السورة:**

سورة هود مكية في قول جميع المفسرين, وحكى الزركشي الإجماع على ذلك.[2]

وأخرج النحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها مكية.[3]

وعزا القرطبي مكيتها إلى الحسن وعكرمة وعطاء وجابر, وحكى مكيتها أيضا عن ابن عباس وقتادة, إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى: وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ [هود: 114][4].

واستثنى بعضهم منها قوله تعالى: فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ [هود: 12], وقوله: أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ [هود: 17], أنها نزلت في ابن سلام وأصحابه, وقوله: وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ [هود: 114], الآية, وأنها نزلت في شأن الثَّمَّار, وأن هذه الآيات الثلاث مدينة.[5]

- **المسألة الثانية: عدد آيات السورة:**

عدد آياتها ثلاث وعشرون ومائة, وذلك في العد الكوفي[6].

---

2 البرهان في علوم القرآن (30/1, 359).

3 الناسخ والمنسوخ (ص531).

4 الجامع لأحكام القرآن (1/9).

5 حكاه ابن عطية وغيره عن مقاتل, في المحرر الوجيز (148/3)

6 لأنني ملتزم بكتابة الآيات على رواية حفص عن عاصم الكوفي, كما في الخطة.

واختلف علماء عد الآي في عددها؛ نظرا لاختلافهم في رؤوس بعض الآيات, فهي إحدى وعشرون ومئة آية في عدّ المدني الأخير والمكي والبصري, بينما هي اثنتان وعشرون ومئة في عد المدني الأول, والشامي[7].

- **المسألة الثالثة: ترتيب السورة بين السور:**

هي الحادية عشر في ترتيب المصحف[8], ونزلت بعد سورة يونس, وقبل سورة يوسف[9].

وأما ترتيبها من حيث النزول, فإنها وقعت ثانيةً بعد الخمسين في الترتيب من بين السور, في الذي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما, وأخرجه عنه ابن الضريس.[10]

وذكر ابن عاشور رحمه الله أن بعض العلماء عدها أيضا الثانية والخمسين في ترتيب النزول [11].

- **المسألة الرابعة: أسباب نزول الآيات**

من القرآن ما نزل بسبب, ومنه ما نزل بغير سبب, وهو الأغلب,[12] وأسباب النزول إنما تكثر في الأحكام والوقائع, وليس كل سورة أو آية كذلك، بل إن في القرآن القصصَ التي تنزل عبرة وتسلية، وتعد هذه السورة من أكثر سور القرآن تناولا للقصص, حيث إنها جمعت

---

7 ينظر البيان في عد آي القرآن (ص165). وتفسير مقاتل بن سليمان (270/2).

8 ينظر البحر المحيط (115/6), وتفسير المنار (3/12).

9 ينظر فضائل القرآن لابن الضريس (ص33). والبرهان في علوم القرآن (193/1), والكشاف (377/2), ومفاتيح الغيب (312/17).

10 أخرج ابن الضريس عن ابن عباس رضي الله عنهما, قال: أول ما نزل من القرآن بمكة، وما أنزل منه بالمدينة الأول فالأول، فكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة فكتبت بمكة، ثم يزيد الله فيها ما يشاء، وكان أول ما أنزل من القرآن: اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم ن والقلم، ثم يا أيها المزمل...– إلى قوله –: ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف...إلخ. فضائل القرآن, باب فيما نزل من القرآن بمكة، وما نزل بالمدينة (ص33).

11 التحرير والتنوير (312/11).

12 وذلك لأن كتاب الله عز وجل, أنزل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور, وهو لا يحتاج – غالبا – انتظار وقوع الأحداث لتتنزل آيات فيها, ورغم وجود ذلك فقد نزل أغلب آياته ابتداء, إذ كان الناس– بعد فترة من الرسل – في أمس حاجة إلى كتاب يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد.

وفصّلت في قصص الأنبياء ما لم يجمع في غيرها من سور القرآن, ولذلك كان طبيعيا جدا أن يقل ورود أسباب لنزول آياتها.

ومع ذلك فقد رويت أسباب لآيات قليلة, أذكر منها ما يتعلق بنطاق البحث, وهو في نطاقين:

❖ **النطاق الأول: قوله تعالى:** أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ[هود: 5].

أولا: أخرج البخاري[13] عن محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عبَّاسٍ قرأ: (ألا إنهم تثنوني صدورهم) قلت: يا أبا العباس ما تثنوني صدورهم؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحيي، أو يتخلى فيستحي فنزلت: أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ.

دراسة السبب:

بالنظر إلى سياق الآية, يصعب الحكم بأن هذا الحديث هو سبب نزول الآية الكريمة, وذلك لكون سياق[14] الآيات, واتساق ضمائرها في المشركين, فأخبر عن معاداة المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين، ويظنون أن أحوالهم تخفى على الله جهلا وسوء ظن بالله تعالى.[15]

وأما ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما, فقد استشكله غير واحد من أهل العلم[16], ولعله أراد أن صنيع هؤلاء أيضا داخل في معنى الآية وليس سببا مباشرا لنزولها, والله أعلم. [17]

ثانيا: قال الواحدي: نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر، يلقى رسول الله ﷺ بما يحب ويطوي بقبله ما يكره. وقال الكلبي: كان يجالس النبي

13 ينظر صحيح البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر), رقم (4682).

14 وقد تقرر في أصول التفسير أن آيات القرآن تحمل على السياق سباقا ولحاقا ما لم يدل ظاهرها على خلاف ذلك.

15 ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (5/9).

16 قال الألوسي: وأيّا ما كان فالآية نازلة في غير المؤمنين حسبما يقتضيه الظاهر، وقد تقدم لك أن الأمر على ما روي عن الحبر رضي الله تعالى عنه مشكل. روح المعاني (218/6).

17 وذكر ابن عاشور قريبا من هذا القول في التحرير والتنوير (322/11).

ﷺ يظهر له أمرا يسره ويضمر في قلبه خلاف ما يظهر، فأنزل الله تعالى: أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ [هود: 5] يقول يكمنون ما في صدورهم من العداوة لمحمد ﷺ[18].

دراسة السبب:

هذا السبب أليق بالآية الكريمة؛ لكون السورة مكية, ولأن هذه الأوصاف التي ذكرت في الأخنس تطابق ما في الآية الكريمة, وخاصة الوعيد في آخرها, وكذلك سياق الآيات قبلها, من أمر بتوحيد الله بالعبادة, وبيان رسالة النبي ﷺ، ما ينبئ عن كون الآية ألصق بالمشركين بمكة من غيرهم, من المسلمين, أو المنافقين الذين نشأوا بالمدينة[19], والله أعلم.

وقد أخرج مجاهد عن عبد الله بن شداد, في تفسير هذه الآية, قال: كان أحدهم إذا مر برسول الله ثنى صدره ورفع ثوبه على رأسه لكيلا يسمع القرآن والذكر. [20]

قلت: وهذا التفسير من عبد الله بن شداد, يبين معنى الآية, دون الأثر الآخر الذي أخرجه عنه الطبري, كما تقدم بيان ذلك قريبا في الهامش, والله أعلم.

❖ **النطاق الثاني: قوله تعالى:** وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ [هود: 8].

---

18 هكذا ذكره الواحدي بدون إسناد في أسباب نزول القرآن (ص265).

19 لأن الطبري أخرج عن عبد الله بن شداد أنها نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه لئلّا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم. جامع البيان, الأثر (17939). قلت: قد يبعُد كونها في المنافقين, لأن السورة مكية, والمنافقون إنما نشأوا بالمدينة. كما قرر ذلك البيضاوي في أنوار التنزيل وأسرار التأويل (128/3), وقد يقال في توجيه قول القائلين إنها في المنافقين: إن مرادهم بالنافقين: كفار قريش، وليس المنافقين من أهل المدينة, فالنفاق هنا –إذا– ليس على ظاهره, بل المراد منه ما كان يصدر من بعض المشركين الذين كان لهم مداراة تشبه النفاق؛ لأن السورة مكية, والذي يقتضيه السياق ويستدعيه ربط الآي كون الآية في المشركين كما تقدم, والله أعلم. وهكذا وجهه غير واحد من أهل العلم مثل مكي رحمه الله في الهداية إلى بلوغ النهاية (3346/5), والألوسي في روح المعاني (196/6-197).

20 تفسير مجاهد (384/1).

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال: لما نزل: ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ [الأنبياء: 1] قال ناس: إن الساعة قد اقتربت فتناهوا فتناهى القوم قليلا ثم عادوا إلى أعمالهم أعمال السوء فأنزل الله سبحانه: أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ [النحل: 1], فقال أناس من أهل الضلالة: هذا أمر الله تعالى قد أتى فتناهى القوم ثم عادوا إلى مكرهم مكر السوء فأنزل الله تعالى هذه الآية...[21]

- **المسألة الخامسة: مناسبة السورة لما قبلها:**

بإلقاء نظرة بين أروقة سورتي يونس وهود, تتجلى مناسبة ترتيبهما, والتصاق بعضهما ببعض؛ لتماسكهما وترابطهما في المعنى والموضوع, حيث فصّلت الدعوة في تضاعيف كل من السورتين, مع ورود محاجاة المشركين في أصول عقائد الإسلام في الإلهيات والنبوات والبعث والجزاء, والحث على عمل الصالحات, وورد في سورة هود تفصيل ما أجمل في سورة يونس من قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وتسليطا للضوء على معالم مناسبتهما: ابتُدأت كل واحدة منهما بالتحدي لمعارضة القرآن؛ بما أومأت إليه الحروف المقطعة مطلعَ كل واحدة منهما, في قوله تعالى: (الٓر)، مردفة بذلك رسالة النبي ﷺ، وبيان وظيفته المتمثلة بالنذارة والبشارة فيها، وذكر الجزاء المترتب على الاستجابة له, والتركيز على ذلك تحفيزا: فقال في مطلع يونس: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ [يونس: 2], وقال في مطلع هود: أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٌ – وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ [هود: 2–3].

---

21 تعثر عليّ الوصول إلى هذا القول في تفسير ابن المنذر وتفسير ابن أبي حاتم؛ لأن المتوفر من الأول وصل إلى نهاية سورة النساء فقط, وأما الثاني فلم أجده في تفسيره, وقد عزا هذا الأثر إليهما جمع من المفسرين, كالسيوطي في الدر (405/4), ولباب النقول في أسباب النزول (ص115), والشوكاني في فتح القدير (550/2), والألوسي في روح المعاني (215/6).

ثم تكرر في أثناء كل منهما التحدي بالقرآن، ردا على الزاعمين أن الرسول ﷺ قد افتراه, فقال في يونس: وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ [يونس: 37-38], وقال في هود: أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ [هود: 13].

وأما السورتان في **ختامهما**: فهما كالسلسلة الواحدة, في التشابه والتوافق؛ حيث ختمتا بموضوعات متطابقة, وآيات متشابهة, فقال تثبيتا لقلبه ﷺ, في يونس فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ [يونس: 94], وقال في هذا السياق في هود: : وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ [هود: 120].

وأمر الله تعالى النبي الكريم ﷺ, في نهاية يونس بالانتظار عقيب التهديد: فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ [يونس: 102], وتكرر ذلك أيضا في خواتيم هود: وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ - وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ [هود: 121- 122].

واختتمت سورة يونس بأمره ﷺ بالصبر حيث قال تعالى: وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ [يونس: 109], وتأكد ذلك في أواخر هود: وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ [هود: 115].

فالسورتان – بالجملة – آيتان من آيات الإعجاز في: اتفاقهما في الموضوع، واختلافهما في النظم والأسلوب، كفيلتان بإقامة الحجة, ضامنتان لإيضاح المحجة؛ لأنهما من كلام العزيز العليم, الذي علم بالقلم, علم الإنسان ما لم يعلم.[22]

22 ينظر تفسير المنار (3/12), وتفسير المراغي (167/11), والتحرير والتنوير (313/11).

3. المطلب الثاني: الهدايات الخاصة بالآيات: (1–11).

{الٓرٰ}:

في الحروف المقطعة سر من أسرار الكتاب المبين.[23]

دلت على إعجاز القرآن للأولين والآخرين, فهو مكون من هذه الحروف التي يتكلمون بها ويؤلفون منها كلامهم, ومع ذلك عجزوا عن معارضته والإتيان بمثله.[24]

أومأت إلى التحدي لمعارضة القرآن؛ بما تومئ إليه الحروف المقطعة في أوائل السور.[25]

فيها قوة إلهيه لا توصف, وقهر رباني لا يقدَّر قدره؛ ما اضطر المشركين المعاندين إلى سماع القرآن على رغمهم.[26]

دلت على أنه كتاب من عند الله, فهو وحده القادر على التحدي في كتابه العزيز[27].

{ الٓرٰ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }:

في تنكير: (كِتَٰبٌ)، تعظيم القرآن وعلو شأنه؛ بجمعه وإحاطته لكل نواحي الخير.[28]

في إسناد الإحكام إلى الكتاب دون الله عز وجل, من حسن الموقع والدلالة على كونه في أقصى غاية الإحكام, ما لا يخفى.[29]

دلت على بديع نظم الكتاب ورصانته وجزالته, وبلوغه غاية الإتقان, وكمال الجمال في

---

23 مستفادة مما حكاه القرطبي عن الشعبي وسفيان الثوري وجماعة في الجامع لأحكام القرآن (154/1).

24 مستفادة من قول الفراء وقطرب, وانتصر له الزمخشري وعضّده ابن كثير رحمه الله. ينظر الكشاف (27/1), والجامع لأحكام القرآن (154/1). وتفسير القرآن العظيم (160/1).

25 التحرير والتنوير (312/11).

26 وذلك لأنهم كانوا لا يريدون سماع القرآن, بل تناهوا عن سماعه وأمر بعضهم بعضا بعدم سماعه, واللغو عند تلاوته, فجاءت هذه الحروف على خلاف ما ألفوه في لغتهم واعتادوا عليه في لهجاتهم, فاضطرهم إلى سماعه, ليسلم من كتب الله له السعادة, ويصر من طُبع على قلبه.

27 بينما صنيع الخلق أنهم يبدؤون تواليفهم بالاعتذار والتظاهر بالقصور, مسترشدين بالله أو بخلقه, ومستلطفين غيرهم في تقبل عذرهم.

28 ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (225/9). والتحرير والتنوير (314/11, 8ب/10).

29 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (182/4).

أحكامه وأوامره ونواهيه.[30]

دلت على عدم تطرق النقص والخلل إليه, وكل ما يخدش في إحكامه وإتقانه, قال تعالى: لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ [فصلت: 42].[31]

دلت على شمولية إتقانه وإحكامه, بحيث لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ والمعنى.[32]

دلت على نفوذ أحكامه, وعدم نسخه بالجملة,[33] وهيمنته على جميع الكتب السابقة.

دلت على عدم وجود نسخ في آيات السورة خاصة.[34]

دلت على حكمة الله البالغة, التي لا يعتريها نقص بأي وجه من الوجوه.[35]

أرشدت إلى القيام بتعظيم شأن القرآن والاعتناء به تعلما وتدبرا.[36]

{ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }:

دلت على أن كتاب الله مبين بيانا يقيم الحجة, ويوضح المحجة, ويقطع العذر.[37]

دلت على كمال القرآن صورة ومعنى.[38]

دلت على نزول القرآن منجما[39], خلافا للكتب السابقة التي كانت تنزل جملة.

---

30 ينظر مفاتيح الغيب (313/17).

31 ينظر جامع البيان (227/15), وتفسير الماتريدي (94/6), والبحر المحيط (118/6).

32 ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (127/3).

33 لأن من معاني الإحكام عدم النسخ, كما روي ذلك عن مجاهد وزيد بن أسلم. ينظر تفسير بن أبي حاتم, الأثر (10637), وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن (ص175), والسمرقندي في بحر العلوم (137/2), وانظر تفسير الماتريدي (94/6), والهداية إلى بلوغ النهاية (3343/5), وروح المعني (190/6).

34 ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (127/3), وروح المعاني (191/6).

35 قال الزمخشري: فيه طباق حسن، لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها. الكشاف (377/2). وقال الألوسي: وأصل الكلام على ما قال الطيبي: أحكم آياته الحكيم وفصلها الخبير. روح المعاني (192/6).

36 لأن هذا الإتقان والتفصيل من الحكيم الخبير, يتطلب شكرا, ولا شكر إلا بتطبيق ما ورد فيه, ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعلم والتدبر.

37 قال تعالى: (وكل شيء فصلناه تفصيلا).

38 لأنه محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى. تفسير القرآن العظيم (303/4).

39 ينظر غريب القرآن لابن قتيبة (ص175), وبحر العلوم (137/2) وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (127/3).

فيها سعة رحمة الله وإنعامه على أمة محمد ﷺ وخاصة المنتفعون بهدي القرآن الكريم.[40]

{ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }:

فيها مراعات فعلي: (أُحكِمت), و(فُصِّلت), في المقابلة, وهما أثر الصفتين: (الحكيم) و (الخبير), وفي ذلك من المزاوجة البليغة, ما لا يكتنه كنهها.[41]

فيها إثبات هاتين الصفتين الحسنيين لله تعالى, فالله يوصف بالحكيم, وبالخبير.

يدل ورود الصفتين بصيغة النكرة على التعظيم والتفخيم.

دلت على أن الله عز وجل أحق من عبد, وأحق من وُكِّل إليه جميع الأمور.[42]

يفهم من التعظيم والتفخيم في الصفتين نفي الشبيه والنظير والمثيل عن الله عزّ وجلّ.

يفهم منها تطرق النقص, وقصر النظر إلى أفعال المخلوقين.[43]

{أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ}:

دلت على اختصاص الله تعالى بالعبادة.[44]

بينت الهدف الأسمى والغاية القصوى من نزول القرآن الكريم, وهو توحيد الله تعالى بالعبادة, وترك ما سواه.[45]

دلت على خيبة وخسارة من صرف عمره إلى غير مطلب هذا الكتاب الشريف.[46]

دلت – بابتدائها بالدعوة إلى التوحيد – على أهمية التوحيد, وأنه أساس كل الأمور.[47]

---

40 وذلك لما بين سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حلاله من حرامه, وطاعته من معصيته, ولما أودع فيه من الفضائل والكنوز, ولما أعلى من شأنه أكثر من أي كتاب آخر.

41 التحرير والتنوير (315/11).

42 لأنه حري بمن كان حكيما في أمره، خبيرا بالعباد وبأعمالهم, أن توكل إليه جميع أمور الخلق.

43 لوصفه بالإحكام وأنه من لدن حكيم خبير, ومفهوم ذلك: أن صنيع من ليس بتلك الأوصاف, في مقابلة صنيع المتلبس بها, لا يصل حد الإحكام ولا يقترب منه...فالتباين بينهما كالتباين بين الذاتين, تعالى الله علوا كبيرا.

44 الكشاف (378/2).

45 ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية (3344/5), وتفسير القرآن العظيم (303/4).

46 قال الرازي: فكل من صرف عمره إلى سائر المطالب، فقد خاب وخسر. مفاتيح الغيب (314/17).

47 ينظر إرشاد العقل السليم (183/4).

يفهم منها الأمر بتحصيل معرفة الله أولا, ثم إفراده بالعبادة ثانيا.[48]

دلت – بهذا الإتقان والتفصيل – على عظم أهمية التوحيد؛ إذ كانت العلةُ من هذا الإتقان والتفصيل هي توحيد الله عز وجل.

فيها وجوب التخلي عن الشرك أولا، ثم العبادة الخالصة ثانيا.[49]

دلت على أن أول ما يدعو به الداعي في دعوته هو توحيد الله تعالى, كما في حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن.[50]

{إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}:

فيها تقرير الركن الثاني من الشهادتين, وهما شهادتان لا تنفك إحداهما عن الأخرى.[51]

في اعتراض هذه الجملة بين الطلبين: (ألا تعبدوا), و(أن استغفروا), تحذير شديد من مخالفة أمر النبي ﷺ، وحث قوي على امتثال أوامره.[52]

في وقوع هذه الجملة الاعتراضية عقب الجملة الأولى للآيات المحكمات, إشعار بأن مضمونها أيضا من الآيات المحكمات.[53]

أفادت أن جامع عمل الرسول ﷺ, هو البشارة والإنذار, وفي ذلك جامع للأصول المتعلقة بالرسالة وأحوالها, فاندرجت في ذلك العقائد السمعية.![54]

في تقديم ضمير المخاطبين في (لكم), إيماء إلى كونه ﷺ رحمة للعالمين.[55]

---

48 لأن الأمر بالعبادة يتضمن الأمر بتحصيل المعرفة أولا. مفاتيح الغيب (314/17).

49 لتقديم النفي على الإثبات. ينظر روح المعاني (194/6) وأيسر التفاسير (521/2).

50 في حديث ابن عباس رضي الله عنهما, أن معاذا، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله... » الحديث, رواه مسلم رحمه الله في صحيحه, كتاب الإيمان, باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام, رقم (29).

51 ينظر إرشاد العقل السليم (183/4).

52 روح المعاني (194/6), والتحرير والتنوير (316/11).

53 التحرير والتنوير (316/11).

54 المرجع السابق.

55 ينظر نظم الدرر (226/9).

فيها أهمية الجمع بين الإنذار والتبشير في الدعوة, وهو المنهج القويم في الدعوة إلى الله.[56]

دلت أن على الداعي البدء بالنذارة قبل البشارة.[57]

فيها تجاوب تام لأطراف الكلام, بمراعاة سوق الخطاب بتقديم الإنذار على التبشير, كما روعي في الكتاب تقديم النفي على الإثبات, والتخلية على التحلية.![58]

فيها أهمية الوسطية والاعتدال؛ فيكون المرء بين الخوف والرجاء, والرغبة والرهبة.

{وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ}:

فيها أهمية الجمع بين الاستغفار والتوبة.[59]

فيها تلقين المخاطبين وإرشاد هم إلى طريق الابتهال في السؤال.[60]

فيها تذكير بما لله من النعم عليهم في الإيجاد والإنشاء والتربية.[61]

أشارت إلى علو رتبة التوبة, وأن لا سبيل إلى طلب الغفران إلا بها.[62]

{ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى}:

فيها معنى قوله تعالى: مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [النحل: 97].[63]

---

56 ينظر مفاتيح الغيب (315/17).

57 لأن التحذير من النار أهم. المحرر الوجيز (149/3), والبحر المحيط (120/6), وإرشاد العقل السليم (183/4).

58 ينظر إرشاد العقل السليم (183/4) وروح المعاني (194/6).

59 واختصت هذه السورة بالجمع بينهما في عدة مواضع, وأولى لذلك أهمية قصوى جميع الرسل الذين ورد ذكرهم في هذه السورة تقريبا, عليهم الصلاة والسلام, بدءً بقول هود: (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء) , ثم قول صالح: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه), ثم قول شعيب: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود).

60 وذلك لتعرضه لوصف الربوبية, وتقديم الاستغفار على التوبة. مفاتيح الغيب (315/17), وإرشاد العقل السليم (184/4), وروح المعاني (194/6)

61 لسوقه بوصف الربوبية. نظم الدرر (228/9).

62 ينظر مفاتيح الغيب (315/17), ونظم الدرر (227/9).

63 ينظر الكشاف (378/2), وتفسير القرآن العظيم (303/4). والتحرير والتنوير (318/11).

فيها معنى قول الله عز وجل: { فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا – يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا – وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ – وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا}[نوح: 10–12].[64]

فيها وعد من الله أن يمتع كل من تاب مستغفرا متاعا حسنا إلى الموت[65]

أشارت إلى أن الاستغفار والتوبة سبب للسعة, كما قال تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ [المائدة: 66][66]

أشارت إلى أن الإعراض سبب الضيق، كما قال ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».[67]

فيها معنى قوله تعالى: وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأنفال: 33].[68]

فيها الترغيب إلى الله, بالحظوظ الدنيوية,[69] من ما تميل إليه النفوس تشجيعا وتحفيزا.

نبهت على أن هذا الإمتاع له نهاية, وقال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 77].[70]

---

64 ينظر البحر المحيط (121/6).

65 أحكام القرآن للشافعي (181/2), وتفسير الشافعي (970/2).

66 نظم الدرر (229/9).

67 المرجع السابق. والحديث أخرجه ابن مبارك في الزهد والرقائق, باب ما جاء في تخويف عواقب الذنوب, رقم (86), والإمام أحمد في مسنده, تتمة مسند الأنصار, من حديث ثوبان, رقم (22386), وابن ماجه في سننه, كتاب الإيمان, باب في القدر, رقم (90). وحسنه الألباني في التعليقات الحسان, كتاب الرقائق, باب الأدعية, رقم (869).

68 لأنه علق الإمتاع بالمتاع الحسن بالاستغفار والتوبة.

69 ينظر جامع البيان (230/15).

70 التحرير والتنوير (318/11).

فيها وعد بأن الإمتاع باق طول الحياة.[71]

فيها أن توحيد العبادة والطاعات, سبب للإنساء في الآجال, والرزق الحسن في الدنيا.[72]

فيها معنى قول الله تعالى :هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ [الرحمن: 60].

{وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ}:

فيها: أن المعروف لا يضيع عند الله تعالى إذا كان صاحبه من أهل التوحيد.[73]

أشارت إلى أنه لم يقع التكليف إلا بما في الوسع,[74]ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

فيها إشارة إلى ثواب الآخرة، فالتوبة سبب طيب العيش في الدنيا والآخرة.[75]

نبهت على أن مراتب السعادات في الآخرة مختلفة, وأنها بقدر الدرجات في الدنيا.[76]

فيها تفصيل لما أجمل من أمر البشارة في الآية السابقة.[77]

أفادت أن جميع خيري الدنيا والآخرة ليس إلا منه, وليس إلا بإيجاده وإعطاءه.[78]

فيها مناسبة دقيقة لجوابين وقعا لطلبَيْن متقدمَيْن من الأمر بالاستغفار والتوبة.[79]

{وَإِن تَوَلَّوۡاْ}:

أشارت إلى أن فطرة الإنسان الانقياد لله والإقبال عليه, وأن التولي أمر طارئ ضد الطبع السليم, وأن في ذلك تكلف.[80]

---

71 المرجع السابق.

72 ينظر غريب القرآن (ص175), وبحر العلوم (137/2), والهداية (3344/5). والكشاف (378/2).

73 ينظر أيسر التفاسير (521/2), وإرشاد العقل السليم (184/4).

74 نظم الدرر (229/9). وانظر التحرير والتنوير (318/11).

75 نظم الدرر (229/9).

76 مفاتيح الغيب (316/17).

77 إرشاد العقل السليم (184/4).

78 لقوله: (يمتعكم), و (ويؤت). فكله من الله تعالى. مفاتيح الغيب (316/17).

79 وذلك لأنه رتب على الاستغفار التمتيع المتاع الحسن في الدنيا، ورتب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة، وناسب كل جواب لما وقع جوابا له. البحر المحيط (121/6).

80 وذلك لأن التولي يومئ أنه كان مقبلا! ينظر نظم الدرر (228/9).

{فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ}:

فيها تفصيل لما أجمل من أمر الإنذار في الآية السابقة.[81]

فيها تأخير الوعيد عن البشارة, جريا على سَنن تقدم الرحمة على الغضب.[82]

فيها تهويل عظيم, وتفظيع فريد من نوعه, من أمر القيامة.[83]

فيها تخويفهم بالعذاب العاجل قبل الآجل, وهو أوقع في نفوسهم.[84]

{ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ }:

دلت على أنه لا مدبر ولا متصرف في الآخرة إلا الله.[85]

فيها تحذير وترهيب المعرضين عن التوبة وإصرارهم على ذلك حتى الممات.[86]

دلت على إثبات البعث بعد الموت, فمرجع الناس إلى ربهم لا محالة, والجزاء عادل.[87]

{وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ }:

دلت على قدرة الله البالغة التي لا يقَدَّر قدرها.[88]

فيها من الاحتباك: ذكر المرجع أولاً, دليلاً على المبدأ ثانياً، وتمام القدرة ثانياً, دليلاً على تمام العلم أولاً؛ لأنهما متلازمان.[89]

{ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ}:

---

81 إرشاد العقل السليم (184/4).

82 المرجع السابق.

83 لأن هذا هو المكان الوحيد الذي وصف فيه ذلك اليوم ب(الكبير). ينظر إرشاد العقل السليم (184/4). والتحرير والتنوير (319/11).

84 لأن في تنكير (يوم), احتمالا أن يكون يوما من أيام الدنيا. التحرير والتنوير (319/11).

85 دل على هذه الهداية الحصر في الآية. مفاتيح الغيب (317/17).

86 لاتصاف رب العزة والجلال بكمال القدرة, وهو للمعرضين بالمرصاد, وقادر على أن ينتقم منهم . ينظر جامع البيان (232/15). ومفاتيح الغيب (317/17). وتفسير القرآن العظيم (304/4).

87 ينظر أيسر التفاسير (521/2).

88 للتعبير بصيغة المبالغة: (قدير). ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية (3346/5).

89 نظم الدرر (234/9).

بينت أن التولي باطنا, كالتولي ظاهرا, وفي ذلك مناسبة دقيقة بينها وبين: {وَإِن تَوَلَّوْاْ}.[90]

يشعر تصديرها بكلمة التنبيه أن ما يعقبها من هناتهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه![91]

بينت ما كان عليه المشركون من جهل وسوء ظن بالله عز وجل.[92]

بينت ما كانت تنطوي عليه صدورهم من عداوة بغيضة لله ورسوله ﷺ.[93]

دلت على عدم استجابة المشركين للآية السابقة: {وَإِن تَوَلَّوْاْ}، فأعرضوا وتولوا.[94]

دلت على تجدد هذه الصنيعة القبيحة من الكفار على الدوام والاستمرار.[95]

دلت على مبالغة الكفار وتفانيهم في هذا الاستخفاء من الله عز وجل.[96]

فيه دلالة إثبات رسالة النبي محمد ﷺ[97].

فيها تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق, وذم الأقيسة الباطلة, وكل ما لا يجوز اعتقاده عن الله وعن دينه.[98]

{أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ}

---

90 لأن في ثنيهم صدورهم, للاستخفاء, توليا ظاهرا عن القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم. ينظر مفاتيح الغيب (317/17).

91 إرشاد العقل السليم (185/4). وانظر التحرير والتنوير (320/11).

92 ينظر جامع البيان (238/15), والهداية إلى بلوغ النهاية (3346/5), وأيسر التفاسير (521/2).

93 ينظر البحر المحيط (123/6).

94 قال البقاعي: {يثنون صدورهم} أي يطوونها وينحرفون عن الحق على غل من غيرِ إقبال؛ لأن من أقبل على الشيء أقبل عليه بصدره. نظم الدرر (235/9).

95 لتعبيرها بالفعل المضارع, والجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث, وتدل على الاهتمام بشأن الفعل..." ينظر البحر المحيط, (32/1), ومفاتيح الغيب, (127/14) ونظم الدرر (439/19).

96 لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما: (تَثْنَوني صدورهم). وهذه القراءة على وزن: (تفعوعل), ومعناه: المبالغة مثل: احلولى, إذا بلغ الغاية في الحلاوة. ينظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (319/1), والهداية إلى بلوغ النهاية (3349/5), والمحرر الوجيز (150/3), وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (128/3).

97 لأنهم كانوا يضمرون ذلك عنه، فأخبرهم بذلك ليعلم إنما علم ذلك بالله تعالى. تأويلات أهل السنة (97/6).

98 ينظر جامع البيان (239/15). والتحرير والتنوير (321/11).

دلت – مع قوله تعالى عن قوم نوح عليه السلام: وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا [نوح: 7]- على أن الكفر ملة واحدة, أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ [الذاريات: 53].

بينت ما كانت تنطوي عليه صدورهم من الغل والبغض لرسول الله ﷺ, والقرآن.[99]

بينت أن لا فائدة في استخفائهم.[100]

في تقديم علمه بالسر على العلن النعي عليهم في أول الأمر, إيذانا بافتضاحهم.[101]

دلت على علم الله تعالى الأشياء قبل وجودها الخارجي, ردا على بعض المعتزلة.[102]

{إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ }:

في ختم الآية بعلم الله تعالى بذات الصدور, وختم الآية السابقة بقدرته على كل شيء, تلازم وثيق بين تمام القدرة وتمام العلم, كتلازم الآيتين.![103]

فيها دقة المناسبة بين صدر الآية وخاتمتها.[104]

بينت سعة علم الله تعالى واطلاعه عن ما في الصدور.[105]

{۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا}:

فيها مستند قوي لاستعمال الأصول اللغوية, وإرجاع الألفاظ إلى أصول اشتقاقاتها في الاستدلال والترجيح والفصل في كثير من القضايا.[106]

---

99 نظم الدرر (235/9). والتحرير والتنوير (322/11).

100 لأنه سبحانه مطلع على ما يسرون وما يعلنون. ينظر مفاتيح الغيب (318/17).

101 إرشاد العقل السليم (186/4).

102 قال الألوسي: وفيه دليل على أنه تعالى يعلم الأشياء قبل وجودها الخارجي، وهذا مما لا ينكره أحد سوى شرذمة من المعتزلة قالوا: إنه تعالى إنما يعلم الأشياء بعد حدوثها! تعالى عن ذلك علوا كبيرا. روح المعاني (198/6).

103 ينظر التحرير والتنوير (320/11).

104 لبدايتها بالحديث عن صدورهم, وختامها باطلاع الله الواسع على ذات الصدور!

105 التحرير والتنوير (324/11).

106 ووجه ذلك: أن الله تعالى أطلق (الدابة) على كل حيوان يدب في الأرض, وهو أصل هذه الكلمة, غير أن الدابة كثر استعمالها – فيما بعد – في الفَرَس, واشتهر ذلك عند العرب, وهي هنا مراد بها كل حيوان يدب في الأرض باتفاق جميع المفسرين, والله أعلم.

في تعبير الآية دقة متناهية عمّمت بها كل حيوان يدب في الأرض.[107]

دلت على أن الانتفاع بالأموال مخصوص بأهل العالم السفلي.[108]

بينت أن كل رزق يرزقها عباد الله فمن الله وحده.[109]

في إفضال الله تعالى على كل نفس بما لا تعيش إلا به ولا يلائمها إلا هو مدة حياتها من الدقة في العلم مع كمال القدرة وتمامها ما لا يكتنه كنهه.[110]

فيها سعة رحمة الله بعباده, وتفضله عليهم بنعمه الظاهرة والباطنة.

أرشدت إلى التوكل[111] على الله وحده وتفويض جميع الأمور إليه, وخاصة في الرزق, بعد الأخذ بالأسباب.[112]

فيها حمل للمكلفين على الثقة بالله تعالى والإعراض عن إتعاب النفس في طلب الرزق.[113]

فيها الترغيب في عبادة الله, وامتثال آية {وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ}، وعدم الفتور عن الطاعة بالانشغال بالرزق المضمون من قبل رب العزة والجلال.[114]

فيها تقرير توحيد الربوبية, ويستلزم ذلك القيام بحق الألوهية لله وحده.

فيها التهديد للكفار وكل من لم يقم بواجب الشكر, جحودا أو قصورا.[115]

{وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَآ}، دلت على مظاهر علم الله تعالى وقدرته, تقريرا ومناسبة

---

107 وجه ذلك أن التعبير ب (في) في قوله: (في الأرض), أدق وأشمل من التعبير بغيرها, مثل: (على الأرض)؛ لأن ما في الأرض من عمقها وتحتها أكثر من أن تعدّ وتحصى, فلو عبر بغير (في), لم يف بهذا الغرض, والله أعلم.

108 نظم الدرر (237/9).

109 قاله مجاهد. ينظر تفسير ابن أبي حاتم, الأثر (10676). والتحرير والتنوير (5/12).

110 ينظر نظم الدرر (237/9).

111 ينظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل (128/3). ونظم الدرر (237/9).

112 ينظر روح المعاني (203/6).

113 إرشاد العقل السليم (186/4).

114 نظم الدرر (237/9).

115 ينظر الجامع لأحكام القرآن (6/9).

لما تضمنته الآية السابقة.[116]

دلت على تدبير الله ورعايته الكاملة بالخلق في جميع الأطوار التي يمرون بها.

{كُلّ فِي كِتَٰب مُّبِين}

فيها إشارة إلى اللوح المحفوظ[117], وهو من الأمور الغيبة؛ فيجب الإيمان به.

فيها تتميم وتوثيق لما أوجب الله على نفسه تفضلا, من تكفله سبحانه بالأرزاق.[118]

دلت على توبيخ المشركين من ثني صدورهم ليستخفوا منه.[119]

{وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ}:

فيها مناسبة دقيقة بينها وبين الآية السابقة, كتناسب العلم والقدرة لله العليم القدير.[120]

دلت أن خلق السماوات والأرض من أكبر مظاهر علم الله وتعلقات قدرته وإتقان الصنع، ومن لازم ذلك الاعتبار بسعة علمه وقدرته.[121]

فيها بيان خلق الأكوان.[122]

{فِي سِتَّةِ أَيَّام}:

فيها نقض ما ذكره بعض الملاحدة من أزلية السماوات والأرض.[123]

فيها تعليم الخلق وحثهم على التأني والتدرج في الأمور.[124]

---

116 ينظر مفاتيح الغيب (318/17), وأنوار التنزيل (128/3), وأيسر التفاسير. (523/2).

117 المحرر الوجيز (152/3).

118 ينظر روح المعاني (205/6).

119 لإحاطة علم الله تعالى بالأشياء كلها, وإثباته إياها في كتاب قبل خلقها ووجودها, بما في ذلك ما انطوت عليه صدورهم. ينظر جامع البيان (243/15). والهداية إلى بلوغ النهاية (3351).

120 لأنه سبحانه أثبت هناك على كونه تعالى عالما، وأثبت هنا ما يدل على كونه قادرا. ينظر مفاتيح الغيب (319/17), والبحر المحيط (125/6), وإرشاد العقل السليم (187/4).

121 التحرير والتنوير (7/12).

122 أيسر التفاسير (524/2).

123 تفسير الماتريدي (100/6).

124 إرشاد العقل السليم (187/4). وانظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (48/2). وروح المعاني (205/6).

في خلقها مدرجا مع القدرة على خلها دفعة دليل على أن الله تعالى قادر مختار.[125]

{وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ}:

فيها ذكر العرش, وهو من أمور الغيبية؛ فيجب الإيمان به.

دلت على أن العرش والماء خُلقا قبل السموات والأرض.[126]

دلت على كمال قدرة الله تعالى, وسعة ملكوته وجبروته.[127]

في خلق هذه المخلوقات العظيمة, وإنعام الله تعالى بهذه النعم الجسيمة, وجوب إفراده بالعبادة وحد, (أفمن يخلق كمن لا يخلق).

{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}:

بينت علة خلق بني آدم, وهو ابتلاؤهم أيهم أحسن عملا, كما قال تعالى: (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا).

دلت – مع قوله تعالى وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ [ص: 27] – على حسن ظن المؤمنين بربهم, وسوء ظن الكافرين به.

فيها شدة الاهتمام, لسوق الكلام مساق الاستفهام في قوله: {أيكم}.[128]

فيها التحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل والزجر عن مباشرة نقيضهما.[129]

دلت على كمال قدرته وعلى البعث.[130]

---

125 إرشاد العقل السليم (187/4). وانظر مدارك التنزيل وحقائق التأويل (48/2). وروح المعاني (205/6).

126 الكشاف (380/2), ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (48/2).

127 وذلك لأن العرش أعظم المخلوقات, فخلقه له وإمساكه من غير دعامة, مع إمساك الماء أيضا بغير وضعه على شيء من الأدلة القوية والبراهين الكبيرة على هذه الهداية, والله أعلم. ينظر مفاتيح الغيب (319/17).

128 نظم الدرر (239/9).

129 وذلك لتخصيصه المحسنين بالذكر, واطراح ذكر من وراءهم؛ تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه. ينظر الكشاف (380/2), وأنوار التنزيل (128/3), وإرشاد العقل السليم (188/4). ونظم الدرر (240/9).

130 ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (9/9).

أشارت إلى أن من حكمة خلق الأرض صدور الأعمال الفاضلة من شرف المخلوقات فيها.[131]

{وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْر مُّبِين}:

دلت أن ابتلاء الله تعالى لعباده يقتضي الجزاء على الأعمال؛ إكمالا لمقتضى الحكمة, ولذلك أعقبت بقوله: {وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ } [132].

فيها تقرير البعث الآخر بعد تقرير الألوهية لله تعالى [133].

فيها علم من أعلام نبوة نبينا محمدﷺ [134].

دلت على إنكار المشركين للبعث.[135]

دلت على تناقض المنكرين بالبعث, وسفههم, واختلال عقولهم.[136]

أومأت إلى ما كان عليه الكفار من تماد في العناد وتفاد عن سنن الرشاد. [137]

أفادت بالجملة الشرطية تجدد التكذيب عند كل إخبار بالبعث.[138]

أفادت بتأكيد الجملة ب(اللام) الموطئة للقسم وما يتبعه من (نون) التوكيد, أن السامع بمنزلة المتردد في صدور هذا القول منهم؛ لغرابة صدوره من العاقل.[139]

---

131 التحرير والتنوير (8/12).

132 المرجع السابق.

133 أيسر التفاسير (524/2).

134 ينظر نظم الدرر (240/9).

135 لوصفهم القرآن بالسحر, وذاك إنكار. ينظر الكشاف (381/2). ومدارك التنزيل وحقائق التأويل (48/2).

136 لأن الاعتراف بخلقه للمخلوقات العظيمة في صدر الآية, يستلزم الاعتراف بالحكمة من خلقها, وهي الابتلاء, ويلزم من ذلك الإعادة والجزاء. ينظر المحرر الوجيز (152/3), ومفاتيح الغيب (320/17), ونظم الدرر (240/9).

137 ينظر إرشاد العقل السليم (188/4).

138 التحرير والتنوير (9/12).

139 المرجع السابق.

{وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ}:

في ذكرها نوعا آخر من تكذيبهم للقرآن, مناسبة دقيقة بينها وبين الآية السابقة.[140]

فيها فضل الله وكرمه بموجب سعة رحمته, حيث أخر عنهم العذاب ولم يعاجلهم به.[141]

نبهت – بنون العظمة – على مجيء العذاب وتحقيق وقوعه لا محالة!.

أومأت إلى أنه وقت غير مديد.[142]

أشارت إلى أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة.[143]

{ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ}:

فيها استعجال المشركين العذاب سخرية واستهزاء.[144]

فيها تكذيب ضمني للعذاب المؤخر عنهم.[145]

أفادت بالجملة الشرطية؛ { وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا}، والجملة الفعلية بصيغة المضارع: {لَّيَقُولُنَّ}[146], تجدد استهزاءهم وتكذيبهم كلما تأخر عنهم العذاب.

بينت خفة عقولهم؛ إذ لا يسأل العاقل عن مثل ذلك إلا بعد قدرته على الدفع![147]

{أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ}:

في افتتاح الكلام بحرف التنبيه (ألا), اهتمام بالخبر وإدخال للروع في ضمائرهم.[148]

---

140 ينظر مفاتيح الغيب (321/17).

141 ينظر نظم الدرر (24/9).

142 لأن الشيء القليل يمكن ضبطه بالعدد، فلذلك عدّه, ويقال في عكسه: بغير حساب. التحرير والتنوير (10/12).

143 وذلك لتعبير الآية عن مدة تأخير العذاب ب (أمة), وليس مجيء أمة وانقراضها بفترة قصيرة في نظر العباد, وزاد على التقليل من شأنها بقوله: (معدودة), والله أعلم.

144 ينظر الكشاف (381/2), وتفسير القرآن العظيم (308/4).

145 ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية. (3355/5), وتفسير القرآن العظيم (308/4).

146 لما مر من أن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث, وتدل على الاهتمام بشأن الفعل...

147 نظم الدرر (241/9).

148 التحرير والتنوير (11/12).

في إعراضه سبحانه وتعالى عن جواب سؤالهم إعلام لهم بأنهم عكسوا السؤال. [149]

فيها التهديد والتأكيد لوعيد الله والتحقيق لخبره سبحانه.[150]

في وضع الموصول: (ما), موضع الضمير إيماء إلى أن استهزاءهم كان من أسباب غضب الله عليهم, وإحاطة العذاب بهم.[151]

أشارت بتقديم الظرف إلى شدة إقبالهم على الهزء به حتى كأنهم لا يهزؤون بغيره.[152]

دلت على أن آلهتهم من دون الله لا تشفع لهم, ولا تملك لهم ضرا ولا نفعا.[153]

فيها أن الجزاء من جنس العمل.

فيها أن الله قد يمهل العصاة، و يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.[154]

{وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيُـُٔوسٞ كَفُورٞ}:

فيها مناسبة دقيقة بينت سبب استحقاق الكفار العذاب ولو تأخر عنهم.[155]

نبهت على خفة عقل الإنسان وعدم اعتباره ونظره في عواقب الأمور, فيسارع في اليأس والكفران بمجرد إدراك أقل القليل من المحنة والبلية.[156]

فيها ذكر فصل من فصول الابتلاء في قوله: {لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا}. [157]

فيها أن طبع الإنسان الوقوف مع الحالة الراهنة, والعمى عن الاستضاءة بنور العقل

---

149 لأنهم إنما سألوا عن ما يحبس العذاب, فجاء الجواب مخالفا لذلك. ينظر نظم الدرر (241/9).

150 ينظر جامع البيان (254/15), والتحرير والتنوير (11/12), أنوار التنزيل (129/3), ونظم الدرر (241/9).

151 التحرير والتنوير (11/12).

152 الظرف في (به). نظم الدرر(241/9).

153 ينظر تفسير الماتريدي (102/6).

154 أيسر التفاسير (524/2).

155 ينظر مفاتيح الغيب (321/17), والبحر المحيط (127/6).

156 وذلك لأن: (الإذاقة), أقل ما يوجد به الطعم, فكان المراد: أن الإنسان بوجدان أقل القليل من المحنة والبلية يقع في اليأس والقنوط والكفران. ينظر مفاتيح الغيب (322/17).

157 وهو تفصيل بعد إجمال. ينظر روح المعاني (217/6).

فيما يزيلها في العاقبة.[158]

بينت منافاة طبع الإنسان لمضمون مقصود السورة من الإحكام الذي هو ثمرة العلم.[159]

أشارت أن ما يخوله الله تعالى بمحض فضل منه ورحمة, لا بحول الإنسان ولا بقوته.[160]

في تقديم الإذاقة بالرحمة على نزعها تنبيه على سبق رحمته غضبه سبحانه.[161]

أشارت إلى أن النزع كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل.[162]

بينت أن أهل الضلالة راسخون في الكفران, ولا يفكرون إلا في اللذات الدنيوية, دون رجاء لتغير الحال, ولا يتفكرون في أسباب النعيم والبؤس وتصرفات خالق الناس.[163]

فيها ذم اليأس والقنوط وحرمتهما.[164]

يفهم منها الحث على الصبر, والرضا بقضاء الله وقدره.

فيها أن المرء قبل أن يطهر بالإيمان والعمل الصالح يكون في غاية الانحطاط النفسي.[165]

نبهت أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة[166]

أفادت بتأكيد الجملة باللام الموطئة للقسم وبحرف التوكيد: {إِنَّهُۥ لَيُـَٔوس}، تحقيقا

158 نظم الدرر (242/9).

159 نظم الدرر (242/9).

160 لتقديم (منا). ينظر نظم الدرر (242/9).

161 روح المعاني (216/6).

162 لتعبيره ب (الكفر).إرشاد العقل السليم (190/4).

163 نظم الدرر (12/12).

164 أيسر التفاسير (526/2). وانظر نظم الدرر (244/9).

165 وذلك لأن الآية عممت اليأس والكفر الصادران عن جنس الإنسان, ثم استثنت منها الصابرين العاملين للصالحات. ينظر مفاتيح الغيب (322/17), وأيسر التفاسير (526/2).

166 قال البيضاوي: في لفظ الإذاقة والمس تنبيه على أن ما يجده الإنسان في الدنيا من النعم والمحن كالأنموذج لما يجده في الآخرة. أنوار التنزيل (129/3), وانظر روح المعني (216/6).

لمضمونها, وأنه حقيقة ثابتة لا مبالغة فيها ولا تغليب.[167]

{وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ}:

فيها: أن الخير من الله, والشر لا ينسب إليه.[168]

نبهت على خفة عقل الإنسان وعدم اعتباره ونظره في عواقب الأمور, فيسارع في الفرح والبطر بمجرد إدراك أقل القليل من النعماء.[169]

في التعبير – عن ملابسة الرحمة والنعماء – بالذوق, وعن ملابسة الضراء بالمس, ما لا يخفى من الجزالة والدلالة.[170]

في اختيار فعل المس بالنسبة إلى إدراك (الضراء), إيماء إلى أن إصابة الضراء أخف من إصابة النعماء، وأن لطف الله شامل لعباده في كل حال.[171]

في التأكيد باللام الموطئة للقسم ونون التوكيد في: { إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ}، تحقيق لمضمونها, وأنه حقيقة ثابتة لا مبالغة فيها ولا تغليب.[172]

أشارت بإيراد جواب القسم: {بم} – بالقول – إلى أنه تبجح وتفاخر.[173]

بينت فساد اعتقاد أن نعم الله تأتي اتفاقا.[174]

فيها ذم الفرح بالدنيا والفخر بها.[175]

---

167 التحرير والتنوير (13/12).

168 قال تعالى: (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر), وقال: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر).

169 وذلك لما تقدم في الآية السابقة عن ما يؤديه لفظ: (الإذاقة)؛ فكان المراد هنا: أن الإنسان بوجدان أقل القليل من الخيرات العاجلة يقع في التمرد والطغيان. ينظر مفاتيح الغيب (322/17).

170 إرشاد العقل السليم (190/4). وانظر روح المعاني (216/6).

171 التحرير والتنوير (14/12).

172 كما مر في اليؤوس الكفور.

173 المرجع السابق.

174 لأن قوله: (ذهب السيئات), يقتضي نظرا وجهلا؛ لاعتقاده الفاسد أن ذلك اتفاق. البحر المحيط (127/6).

175 أيسر التفاسير (526/2), قال أبو حيان: وهذا الفرح مطلق، فلذلك ذم المتصف به، ولم يأت في القرآن

يفهم منها الحث على الحسبة في جميع الأحوال, والصبر في الضراء, والشكر في السراء.

{إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَة وَأَجۡر كَبِير}:

بينت قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا – إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا – وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا – إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ [المعارج: 19 -22].[176]

بينت ما يتمتع به المؤمن من كمال روحي في صبره وشكره وبينت جزائه بالمغفرة والجنة.[177]

فيها فضل الإيمان والرضا بالقدر.

فيها: أن اليأس ضده الصبر, والكفران ضده الشكر, فاستثنى الله تعالى الصابرين الشاكرين العاملين للصالحات, من اليائسين الكافرين.[178]

في تعبيرها – عن أهل الإيمان – بالصبر, دلالة قوية على أهمية الصبر ومكانته في الدين, وما ينتج عنه من ثبات واستقامة, قال تعالى: سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ [الرعد: ٢٤], وقال تعالى: وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة: ٢٤].[179]

أشارت –ب (أولئك) – إلى بعد منزلة أهل الإيمان في الفضل, وعلو درجتهم.[180]

(وأجر كبير):

بينت أن كل جزاء فهو صغير في مقابلة دخول الجنة التي هي أقصى غايات الصابرين العاملين للصالحات.[181]

للمدح إلا مقيدا بما فيه خير كقوله: (فرحين بما آتاهم الله من فضله). البحر المحيط (128/6).

176 ينظر تفسير القرآن العظيم (309/4).

177 ينظر الكشاف (382/2), وأيسر التفاسير (526/2).

178 فلما تضمن اليأسُ عدمَ الصبرِ, والكفرانُ عدمَ الشكرِ, كان المستثنى من ذلك ضده ممن اتصف بالصبر والشكر. ينظر روح المعاني (216/6).

179 ينظر التحرير والتنوير (15/12).

180 ينظر إرشاد العقل السليم (190/4). ونظم الدرر (244/9). وروح المعاني (217/6).

181 قال أبو حيان: ووصف الأجر بقوله: (كبير)، لما احتوى عليه من النعيم السرمدي ورفع التكاليف، والأمن العذاب، ورضا الله عنهم، والنظر إلى وجهه الكريم. البحر المحيط (128/6).

4. المطلب الثالث: سبل تحقيق هدايات الآيات:

بالنظر إلى الهدايات التي تطرقت إليها الآيات, تتجلى عدة طرق يمكن من خلالها تحقيق هذه الهدايات, فتتغير حال الناس من الذل والهوان إلى العز والكرامة, ومن الشقاء إلى السعادة.

ولكن لا يتحقق هذا الغرض إلا بعد الانطلاق من قول الله عز وجل: لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ [الرعد: 11], وهذه الآيات أرشدت إلى جملة من السبل التي يمكن من خلالها تحقيق أهداف تلكم الهدايات, ومن أبرزها ما يلي:

- تدبر القرآن الكريم والاهتداء بهداياتها[182], وآكدها الهدايات التي تقود إلى تحقيق التوحيد, وذلك لما أفادت الآيات الأولى في مطلع السورة من العناية الربانية والإحكام البليغ الذي لا يعتريه خلل من أي وجه من الوجوه لهذا الكتاب العظيم, معللا ذلك بقوله: { أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ}، فكان الهدفَ الأسمى والغايةَ القصوى من إحكام الكتاب العزيز توحيدُ الله تعالى وإفرادهُ بالعبادة, فيا ترى هل ثمت خسارة وخيبة فوق خسارة وخيبة من صرف عمره إلى غير هذا المطلب العظيم لهذا الكتاب الشريف؟!
- بما أن الوسائل لها أحكام المقاصد, وبما أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ ففي الطريقة السابقة من طرق تحقيق الهدايات إيماء إلى الأمر بتحصيل معرفة الله أولا, ثم إفراده بالعبادة ثانيا.[183]
- الدعوة إلى الله تعالى على البصيرة التامة واتباع مناهج القرآن في إخراج الناس من

---

182 كما قال تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن) (النساء:82), وقال: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) [الإسراء:9].

183 قال الرازي: إنما حسن ذلك لأن الأمر بالعبادة يتضمن الأمر بتحصيل المعرفة فلا جرم ذكر ما يدل على تحصيل المعرفة. مفاتيح الغيب (314/17).

الظلمات إلى النور, ومن آكد تلك المناهج البداية بالأهم فالأهم كما هي طريقة الهدايات, والأهم في ذلك هو توحيد الله تعالى, كما في حديث معاذ رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن.[184]

- ❖ اتباع المنهج القويم في الدعوة بالجميع بين الإنذار والتبشير, والترغيب والترهيب.[185]
- ❖ اتباع منهج الوسطية والاعتدال في كل أمور الدين, فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء, كما هو واضح في هدايات قوله تعالى: { إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِير }.
- ❖ دوام التوبة والاستغفار ولزومهما في جميع الأحوال؛ فهما جامعان لكل خصلة حميدة, كفيلان بإصلاح أمر الدين والدينا.[186]
- ❖ الزهد من الدنيا والنظر إليها كعرض زائل, وأنها وسيلة وليست غاية, فإن الآية قد نبهت بقوله تعالى: { إِلَىٰٓ أَجَل مُّسَمّا} على أن الإمتاع له نهاية.[187]
- ❖ مراقبة الله تعالى واستحضار الموت وما بعده من أمر القيامة وأهوالها.[188]
- ❖ الحذر كل الحذر من الاستخفاف بمحارم الله والاستهزاء بالدين ورموزه, تفاديا من مباغتة عذاب الله وخزيه الدنيوي قبل الأخروي.[189]
- ❖ النظر في مخلوقات الله العظيم والتفكر في آياته التي لم تُخلق عبثا.[190]

---

184 في حديث ابن عباس رضي الله عنهما, عن ابن عباس، أن معاذا، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله... » الحديث, رواه مسلم رحمه الله في صحيحه, كتاب الإيمان, باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام, رقم (29).

185 كما في هدايات قول الله عز وجل: (إنني لكم منه نذير وبشير).

186 وقد مرات هدايات قوله تعالى: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا...).

187 قال ابن عاشور: (إلى أجل) غاية للتمتيع، وذلك موعظة وتنبيه على أن هذا المتاع له نهاية. التحرير والتنوير (318/11). وقال تعالى: (قل متاع الدنيا قليل) [النساء:77], ولو نظر أهل الدنيا إليها كعرض زائل لهانت في عيونهم!

188 كما مر من الآيات قوله تعالى: (إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير).

189 وقد مرت هدايات قوله تعالى: (ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون).

190 كما في هدايات قوله تعالى: (وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا), وقال: (إن في خلق السماوات والأرض لآيات لأولي الألباب) [آل عمران:190].

❖ التعقل والاعتبار والنظر في العواقب, والتنبه على أن الأيام دول وأن الدنيا لا تستقر على حال, فاليوم نعماء وغدا قد يحصل ضراء, والعكس.[191]

5. المطلب الرابع: أثر تحقيق هدايات الآيات:

بعد اتباع سبل تحقيق الهدايات الآنفة الذكر, تتحقق غايتها, وتؤتي أكلها بإذن ربها, فيقود المؤمنَ إلى سعادة الدارين, كما قال تعالى: { يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا}، الثمرة لا تتأتى إلا بعد الامتثال بأوامر الهدايات والبعد عن زواجرها ونواهيها, فيتحقق للمهتدي بها ما ذكر الله تعالى من هداية للتي هي أقوم, في قوله تعالى: إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا [الإسراء: 9].

وهذا الأثر يقود الفرد والمجتمع من عالم القهر والذل, إلى عالم العز والكرامة, وبه يتحقق للمجتمع التكامل والوحدة والتمسّك والاعتصام بحبل الله دون تفرق, بعيدا عن كل ما من شأنه أن يضر المجتمع في دينه أو دنياه, نسأل الله السلامة والعافية.

6. المطلب الخامس: طرق العلماء في الوصول إلى هدايات الآيات:

من خلال تتبعي للعلماء في هذا البحث الصغير وجدتهم ينهجون عدة طرق لاستخراج هدايات الآيات, لكن تجدر الإشارة إلى أن رجوعهم إلى أصل اشتقاق الكلمة كان الغالب الأكثر والطابع الأبرز, وسوف أتطرق لذكر ست طرق منها:

- **أولا: الرجوع إلى أصل اشتقاق الكلمة اللغوي, ومن أمثلة ذلك:**

❖ **تعامل مكي رحمه الله** مع قوله تعالى: {يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا}، حيث قال: أي: ينسئ في آجالكم إلى الوقت الذي يشاء، ويرزقكم من زينة الدنيا. قال: وأصل الإمتاع: الإطالة.[192]

---

191 كما في هدايات آيتي: (ولئن أذقنا).

192 الهداية إلى بلوغ النهاية (3344/5).

فأخذ مكي– رحمه الله – (الإنساء في الآجال), من أصل كلمة (الإمتاع), وذلك؛ لما بين (الإطالة), و(الإنساء) من التقارب اللغوي, أو توافقه, والله أعلم.

هذا, وقد استفاد مكي هذا من ابن قتيبة, لأن ابن قتيبة ذكر هذا الأصل قبله, قال: أصل الإمتاع الإطالة، يقال: حبل ماتع وقد متع النهار إذا طال.[193]

❖ **ما سلكه الرازي** في قوله تعالى: {وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ}. قال: وذلك لأن: (الإذاقة), أقل ما يوجد به الطعم, فكان المراد: أن الإنسان – بوجدان أقل القليل من الخيرات العاجلة – يقع في التمرد والطغيان، و– بإدراك أقل القليل من المحنة والبلية – يقع في اليأس والقنوط والكفران.[194]

فالرازي رحمه الله, تذَوَّق هذه الهداية من ما توحي إليه كلمة (الإذاقة) من إحساس باللذّة, والله أعلم.

❖ **صنيع البقاعي** في قوله: { وَإِن تَوَلَّوۡاْ}: قال: أي تُكَلِّفوا أنفسكم ضد ما طبعها الله عليه من سلامة الفطرة وسهولة الانقياد من الإعراض ولو أدنى درجاته.[195]

فأنت ترى البقاعي هنا استشعر ما تومئ إليه كلمة التولي من أصالةِ الإقبال فيها واطراءِ التولي عليها؛ وذللك لأن التولي إنما يصدر عن من كان مقبلا, والله أعلم.

○ **ثانيا: الجمع بين النصوص:**

❖ **كالذي يكثر منه ابن كثير** رحمه الله من ربط بين الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد, كطريقته عند القول في تفسير قوله تعالى: {إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ}،حيث إنه فسر الآية ثم قال: وهكذا قال الله تعالى: وَٱلۡعَصۡرِ – إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ – إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ

193 غريب القرآن (ص201).

194 ينظر مفاتيح الغيب (322/17).

195 ينظر نظم الدرر (228/9).

بِٱلصَّبۡرِ [العصر: 1-3]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا - إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا - وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا - إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ [الآية [المعارج: 19 -22][196]

❖ **وكالذي درج عليه الألوسي** عند قوله تعالى{وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا} قال: ولا يمنع من التوكل مباشرة الأسباب مع العلم بأنه سبحانه المسبب لها, ففي الخبر «اعقل وتوكل». [197]

فجمع الألوسي هنا بين الآية وما ورد من الحديث[198] المذكور من أخذ بالأسباب ثم التوكل بعد ذلك, مفيدا أن التوكل بدون أخذ بالأسباب ليس المسلك السليم.

○ **ثالثا: الرجوع إلى أقوال السلف رحمهم الله تعالى:**

❖ **كالذي لجأ إليه مكي رحمه الله** عند قوله تعالى: {وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥ}: قال: أي: يثيب من تفضل بفضل ماله، أو قوته، أو كلام حسن، أو غير ذلك من وجوه الخير على غيره لوجه الله عز وجل. ثم نقل قول ابن مسعود رضي الله عنه: من عمل سيئة كتبت واحدة، ومن عمل حسنة كتبت عشرا، فذلك فضل الله، عز وجل. قال: فإن عوقب بالسيئة في الدنيا زالت عنه، وإن لم يعاقب بها أخذ من الحسنات العشر واحدة، وبقيت له تسع حسنات.[199]

○ **رابعا: الرجوع إلى القراءات القرآنية:**

❖ **كالذي نهجه مكي أيضا** عند قوله تعالى: { أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ}، قال: وروي عن ابن عباس أيضا أنه قرأ: (تنثوي), وعنه أيضا أنه قرأ: (تثنوني)، مثل: (تفعوعل), ومعناه: المبالغة, مثل: (احلولى), إذا بلغ الغاية في الحلاوة. [200]

---

196 تفسير القرآن العظيم (4309).

197 روح المعاني (203/6).

198 وهو حديث الرجل الذي أراد ترك ناقته بدون ربط, وأنه يتوكل. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اعقلها وتوكل). صحيح ابن حبان, كتاب الرقائق, باب الورع والتوكل, رقم (731). وقد حسنه الألباني رحمه الله.

199 الهداية إلى بلوغ النهاية (3344/5).

200 الهداية ((3348/5).

فأخذ وجه المبالغة من قراءة ابن عباس رضي الله عنهما, فدلت – بهذه القراءة – على مبالغة الكفار وتفانيهم في الاستخفاء, والله أعلم.

- **خامسا: الرجوع إلى علم المنطق:**

❖ **كالذي أفاده البقاعي عند قوله تعالى:** { لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓ}، قال: ولما كان العاقل لا ينبغي أن يسأل عن مثل ذلك إلا بعد قدرته على الدفع، أعرض عن جوابهم وذكر لهم أنهم عاجزون عن دفاعه عند إيقاعه إعلاماً بأنهم عكسوا في السؤال.[201]

فكان كلامه هذا منطقيا جدا, بحيث إنّ دفع العذاب والبحث عن وسائل ذلك أهم في حقهم من السؤال عن ما يحبسه, والعلم عند الله.

- **سادسا: الرجوع إلى أصول الفقه:**

❖ **كرجوع ابن عاشور** إليها, عند قوله تعالى: {أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ}. قال: يكون ذلك تعجيبا من جهالة أهل الشرك إذ كانوا يقيسون صفات الله تعالى على صفات الناس فيحسبون أن الله لا يطلع على ما يحجبونه عنه.

قال: وجميع أخطاء أهل الضلالة في الجاهلية والأديان الماضية تسري إلى عقولهم من النظر السقيم، والأقيسة الفاسدة، وتقدير الحقائق العالية بمقادير متعارفهم وعوائدهم، وقياس الغائب على الشاهد, وقد ضل كثير من فرق المسلمين في هذه المسالك لولا أنهم ينتهون إلى معلومات ضرورية من الدين تعصمهم عند الغاية عن الخروج عن دائرة الإسلام وقد جاء بعضهم وأوشك أن يقع.[202]

فأجاد ابن عاشور وأفاد في تفنيد ظن المشركين عند قياسهم هذا القياسَ الباطل, وذلك لأنهم قاسوا صفات الله على صفات البشر, ظانين أن الله لا يطلع على ما في صدورهم, فأخلّوا بركن من أركان القياس, لما بين المقيس والمقيس عليه من البون والفرق الشاسع, والله أعلم وأحكم.

---

201 نظم الدرر (241/9).

202 التحرير والتنوير (321/11).

7. المطلب السادس: أساليب وخصائص هدايات الآيات:

- **أولا: أساليب الآيات في عرضها للهدايات:**

تعددت أساليب السورة في عرضها للهدايات, تأكيدا على بلاغة القرآن وفصاحته, وجزالته في ألفاظه ومعانيه, ومن الأساليب المستخدمة في نطاق البحث ما يلي:

- ❖ أسلوب التحدي والإعجاز كما في قوله تعالى: (الر).
- ❖ التعظيم لشأن القرآن وتفخيمه, كما يومئ إليه التنكير في قوله: (كتاب).
- ❖ الأسلوب البلاغي البديعي كما في مراعات فعلي: (أحكمت), و(فصلت), من المقابلة, وهما أثر الصفتين: (الحكيم) و (الخبير), وفي ذلك من المزاوجة البليغة, ما لا يكتنه كنهها.

أسلوب النهي في: { أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ}.

- ❖ أسلوب الترغيب والترهيب, وتهويل أمر القيامة في الآيات: { إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِير وَبَشِير}، و { فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ}...
- ❖ أسلوب التذكير بالمعاد, والتخويف من الله: { إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ}.
- ❖ أسلوب التعجب في { أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ}: في تصديرها بكلمة التنبيه إشعار بأن ما يعقبها من هناتهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه!
- ❖ أسلوب التهكم بالكفار من خلال هتك سترهم, وإظهار ما يضمرون من سوء ظن وجهل بالله عز وجل, كما في قوله تعالى: {أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ}.
- ❖ أسلوب التذكير بنعم الله ومعنى الربوبية, للاستدلال بها على الألوهية, كما في الآيات: { وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ}.

- ❖ أسلوب بيان عجز آلهتهم, وأنها لا تملك لهم ضرا ولا نفعا, كما في قوله: {وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُون}.
- ❖ أسلوب الاستدلال بالمخلوقات العظيمة, على توحيد الله عز وجل, كما في قوله: {وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ}.

- ○ **ثانيا: خصائص هدايات الآيات:**

اتّسمت الهدايات في نطاق البحث بجملة من الخصائص والمميزات, التي تدل على حكمة الله البالغة, وأن هذا القرآن كما قال تعالى: (فصلناه على علم), ومن أبرز هذه الخصائص في نطاق البحث ما يلي:

- ❖ الشمولية والإتقان والإحكام.[203]
- ❖ التفصيل بعد الإجمال.[204]
- ❖ التخلية أولا فالتحلية ثانيا.
- ❖ النذارة أولا فالبشارة ثانيا.
- ❖ الجمع بين الترغيب والترهيب.[205]
- ❖ الدقة المتناهية في التناسب والتناسق والتماسك بين الآيات.[206]
- ❖ التعليم والإرشاد.[207]
- ❖ الرحمة والفضل من الله تعالى.[208]

---

203 بحيث لا يعتريه إخلال من جهة اللفظ, ولا من جهة المعنى, فهو كامل صورة ومعنى.

204 كما في قوله: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا), وفصل بعضها في قوله: (ولئن أذقنا الإنسان منا...) الآيتين. ومثله: (إنني لكم منه نذير وبشير), فصلت بعدها مباشرة بقوله: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسننا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير).

205 كما في قوله تعالى: (إنني لكم منه نذير وبشير), وقوله: (يمتعكم متاعا حسنا) إلى قوله: (وإن تولوا فإني أخاف عليكم).

206 وهو بين في المقاطع والفواصل.

207 كما تومئ إلى ذلك هداية قوله تعالى: : (في ستة إيام).

208 بلطف من الله لم يعاجلهم بالعذاب كما في قوله: (ولئن أخرنا عنهم العذاب).

- الاهتمام والرعاية.[209]
- الترويع والتفظيع للمخالفين المعاندين المستهزئين.[210]
- التنبيه على التعقل والاعتبار والنظر في العواقب.[211]
- الواقعية وعدم المبالغة في توصيف العباد.[212]
- بيان فضل الإيمان وأهله, وشؤم الكفر وبغض أهله.[213]

8. خاتمة ونتائج

تطرق البحث إلى أهمية أحوال نزول الآيات وتوظيفها توظيفا يضمن تحقيق نتائج طيبة لمضمون البحث.

كما تبين من خلال البحث أن من أهم سبل تحقيق هدايات الآيات: التدبر والاهتداء بهداياتها, وأن آكدها الهدايات التي تقود إلى تحقيق التوحيد, وأن لا سبيل إلى ذلك إلا بالتزود بالعلم النافع المصاحب للعمل الصالح, وأن من أهم هذه السبل أيضا الدعوة إلى الله على بصيرة تامة, واتباع منهج الوسطية والاعتدال في جميع أمور الدين, ودوام التوبة والاستغفار, والزهد من الدنيا, ومراقبة الله، والحذر من الاستخفاف بمحارم الله تعالى وغير ذلك من السبل التي ورد ذكرها في البحث.

---

209 لما من الله على عباده من تيسير جميع سبل المعاش, وسخر لهم جميع ما في الأرض وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.

210 كما في قوله: (فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير), وكما في هداية قوله: (ألا إنهم يثنون صدورهم): ففي افتتاح الكلام بحرف التنبيه (ألا), اهتمام بالخبر وإدخال للروع في ضمائرهم.

211 لما في ذلك من تنبيه على أن الأيام دول, وأن الدنيا لا تستقر على حال, فاليوم نعماء وغدا قد يحصل ضراء, والعكس, كما مر ذلك في هدايات: (ولئن أذقنا الإنسان).

212 كما في قوله: (إنه ليؤوس كفور), حيث أفادت بالتأكيد واللام الموطئة للقسم, أنه حقيقة ثابتة لا مبالغة فيها ولا تغليب.

213 كما في قوله تعالى: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات), فاستثنى المؤمنين من المذمومين قبلها في قوله: (إنه ليؤوس كفور).

وتطرق إلى أن اتباع السبل المذكورة يقود إلى تحقيق أهداف الهدايات فتؤتي أكلها, وتقود إلى سعادة الدارين.

كما توصّل البحث إلى أن هم طرق العلماء في الوصول لهدايات الآيات الرجوع إلى أصل اشتقاق الكلمة, كما أن من طرقهم في ذلك الجمع بين النصوص, والرجوع إلى أقوال السلف, والرجوع إلى القراءات القرآنية, والرجوع إلى أصول الفقه, وعلم المنطق.

كما نتج عن هذا البحث أن هدايات الآيات تميزت بعدة أساليب وخصائص من أهمها: أسلوب التحدي والإعجاز, وبعض الأساليب الاستدلالية, إضافة إلى بعض الأساليب البلاغية التي وردت تفاصيلها في تضاعيف البحث.

واختتم البحث بذكر خصائص لهدايات الآيات أهمها: الشمولية والإتقان, والتخلية والحلية, والجمع بين الترغيب والترهيب, والدقة في التناسب, والتعليم والإرشاد, والاهتمام والرعاية.

ويوصي الباحث في نهاية بحثه بما يلي:

- مواصلة السير في مشروع الهدايات وتذلل جميع العقبات أمام الباحثين والمتخصصين في هذا المجال, وإمدادهم بالبرامج والدورات التطبيقية, وبكل ما من شأنه أن يقدم لهم يد العون ويمكنهم من تحقيق أهداف هذا المشروع النبيل.
- توسيع آفاق البحث في الهدايات القرآنية ليشمل التفاسير والكتب التي صنفت بلغات مختلفة.
- إقامة المزيد من المؤتمرات والندوات العالمية في موضوع الهدايات القرآنية.
- الاهتمام البالغ بمخرجات المؤتمرات التي تقام حول الهدايات والدراسات القرآنية, وتوظيفها توظيفا يتماشى مع متطلبات العصر وحاجة الأمة.

والله أعلم, وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

ʻAbd al-Raḥman bin Abī Bakr, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī (W: 911H). Al-Dār al-Manthūr. Dār al-Fikr - Beirūt.

ʻAbd al-Raḥman bin Abī Bakr, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī (W: 911H). Li Bāb al-Naqūl fī Asbāb al-Nuzūl. Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah Beirūt - Lubnān.

ʻUthmān bin Sa'īd bin ʻUthmān Abū ʻAmrū al-Dānī (W: 444H). Al-Bayān fī ʻAd Āyu al-Qur'ān, Taḥqīq: Ghānim Qadwarī, Markaz al-Makhṭūṭāt wa al-Turāth - al-Kuwait, Ed.1, 1414H/1994M.

Abū ʻAbd Allāh Aḥmad bin Muḥammad bin Ḥanbal bin Hilāl bin Asad al-Syaibānī (W: 241H), Musnad al-Imām Aḥmad bin Ḥanbal. Taḥqīq: Syu'aib al-Arnaūṭ - ʻĀdil Mursyid, wa Ākharūn, Isyrāf: Dr. ʻAbd Allāh bin ʻAbd al-Muḥsin al-Turkī, Muassasah al-Risālah, Ed.1, 1421H/2001M.

Abū ʻAbd Allāh Badr al-Dīn Muḥammad bin ʻAbd Allāh al-Zarkasyī (W: 794H). Al-Burhān fī ʻUlūm al-Qur'ān. Taḥqīq: Muḥammad Ibrāhīm, Ed.1, 1376H/1957M, Dār Iḥyā' al-Kutub al-ʻArabiyyah.

Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin ʻUmar bin al-Ḥasan al-Rāzī al-Mulaqqab bi Fakr al-Dīn al-Rāzī Khutaib al-Rī (W: 606H). Mafātīḥ al-Ghaib (Al-Tafsīr al-Kabīr), Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʻArabī - Beirūt, Ed.3, 1420H.

Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin Aḥmad bin Abī Bakr Syams al-Dīn al-Qurṭubī (W: 671H). Al-Jāmi' li Ahkām al-Qur'ān (Tafsīr al-Qurṭubī). Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī wa Ibrāhīm Aṭfīsy, Dār al-Kutub al-Meṣriyyah, Ed.2, 1384H/1964M.

Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin Ayūb bin al-Ḍarīs al-Bajlī al-Rāzī (W: 294H). Faḍāil al-Qur'ān wa mā Anzala min al-Qur'ān bi Makkah wa mā Anzala bi al-Madīnah. Taḥqīq: Ghazwah Badir, Dār al-Fikr, Damsyik - Sūriyah, Ed.1, 1408H/1987M.

Abū ʻAbd Allāh Muḥammad bin Idrīs al-Syāfi'ī (W: 204H). Tafsīr al-Imām al-Syāfi'ī. Taḥqīq: Dr. Aḥmad al-Farrān, Dār al-Tadmiriyyah - al-Sa'ūdiyyah, Ed.1, 1427H/2006M.

Abū ʻAbd al-Raḥman ʻAbd Allāh bin al-Mubārak bin Wāḍiḥ al-Ḥanẓlī, al-Turkī thumma al-Mirwazī (W: 181H). Al-Zuhudwa al-Raqāiq. Taḥqīq: Ḥabīb al-Raḥman al-A'ẓamī, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah - Beirūt, Vol 1.

Abū ʻAbd al-Raḥman Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī (W: 1420H). Al-Ta'līqāt al-Ḥasān ʻalā Ṣaḥīḥ ibn Ḥabān wa Tamyīz Saqīmuhu min Ṣaḥīhih, wa Syāzah min Maḥfūẓ.

Abū al-Fatḥ ʻUthmān bin Janī al-Mūṣalī (W: 392H). Wizārah al-Awqāf - al-Majlis al-ʻAʼlā li Syuʼūn al-Islāmiyyah, 1420H/1999M.

Abū al-Fidāʼ Ismāʻīl bin ʻUmar bin Katḥir al-Qarsyī (W: 774H). Tafsīr al-Qurʼān al-ʻAẓīm. Taḥqīq: Sāmī bin Muḥammad Salāmah, Dār Ṭayyibah. Ed.2, 1420H/1999M, Vol 8.

Abū al-Ḥasan Maqātil bin Sulaimān al-Azdī al-Balkhī (W: 150H). Tafsīr Maqātil bin Sulaimān. Taḥqīq: ʻAbd Allāh Syaḥātuh, Dār Iḥyāʼ al-Turāth - Beirūt, Ed.1, 1423H.

Abū al-Ḥujāj Mujāhid bin Jabar al-Tābiʼī al-Qarsyī al-Makhzūmī (W: 104H). Tafsīr Mujāhid. Taḥqīq: Dr. Muḥammad Abū al-Nail, Dār al-Fikr al-Islāmī al-Ḥadīthah, Meṣir, Ed.1, 1410H/1989M.

Abū al-Laith Naṣr bin Muḥammad bin Aḥmad bin Ibrāhīm al-Samarqandī (W: 373H). Baḥr al-ʻUlūm.

Abū al-Qāsim Maḥmūd bin ʻAmrū bin Aḥmad al-Zamakhsyarī Jār Allāh (W: 538H). Al-Kasyāf ʻan Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl. Dār al-Kitāb al-ʻArabī - Beirūt, Ed.3, 1407H.

Abū al-Saʼūd Muḥammad bin Muḥammad bin al-ʻImādī (W: 982H). Irsyād al-ʻAql al-Salīm ilā Mazayā al-Kitāb al-Karīm (Tafsīr Abī al-Saʼūd). Dār al-Iṣlāḥ - Al-Dammām, Ed.2, 1412H/1992M.

Abū Bakr al-Baihaqī, Aḥmad bin al-Ḥusīn bin ʻAlī al-Kharāsānī, (W: 458H). Ahkām al-Qurʼān li Syāfiʼī - Jamʼu al-Baihaqī. Maktabah al-Khānijī - al-Qāherah, Ed.2, 1414H/1994M.

Abū Ḥayān Muḥammad bin Yūsuf Athīr al-Dīn al-Andalusī (W: 745H). Al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr. Taḥqīq: Muḥammad Jamīl, Dār al-Fikr - Beirūt, 1420H.

Abū Jaʼfar al-Naḥās Aḥmad bin Muḥammad bin Ismāʻīl al-Marādī al-Naḥwī (W: 338H). Al-Nāsikh wa al-Mansūkh. Taḥqīq: Dr. Muḥammad ʻAbd al-Salām, Maktabah al-Falāḥ - al-Kuwait, Ed.1, 1408H.

Abū Muḥammad ʻAbd al-Ḥaq bin Ghālib bin ʻAbd al-Raḥman bin ʻAṭiyyah al-Andalusī (W: 542H). Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-ʻAzīz. Taḥqīq: ʻAbd al-Salām ʻAbd al-Syāfī, Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah - Beirūt, Ed.1, 1422H.

Abū Muḥammad ʻAbd Allāh bin Muslim bin Qutaibah al-Dīnūrī (W: 276H). Gharīb al-Qurʼān. Taḥqīq: Saʼīd al-Laḥām.

Abū Muḥammad ʻAbd al-Raḥman bin Abī Ḥātim al-Rāzī. Tafsīr ibn Abī Ḥātim. Taḥqīq: Asʼad Muḥammad al-Ṭayyib, al-Maktabah al-ʻAṣriyyah - Ṣīdā.

Abū Muḥammad Makī bin Abī Ṭālib (W: 437H). Al-Hidāyah ilā Bulūgh al-Nihāyah fī ʻIlm Maʼānī al-Qurʼān wa Tafsīrihi, wa Aḥkāmihi, wa Jumal min Funūn ʻUlūmuh. Taḥqīq: Majmūʻah Rasāil Jāmiʼiyyah bi Jāmiʼah

al-Syāriqah, Majmū;ah Buḥuth al-Kitāb wa al-Sunnah Jāmi'ah al-Syāriqah, Ed.1, 1429H/2008M.

Aḥmad bin Muṣṭafā al-Murāghī (W: 1371H). Tafsīr al-Murāghī. Maktabah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalbī - bi Meṣir, Ed.1, 1365H/1946M.

Al-Baiḍāwī, Nāṣir al-Dīn Abū Sa'īd 'Abd Allāh bin 'Umar al-Syairāzī (W: 685H). Anuār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl. Taḥqīq: Muḥammad 'Abd al-Raḥman al-Mar'asylī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī - Beirūt, Ed.1, 1418H.

Al-Ḥusīnī, Muḥammad Rasyīd bin 'Alī Riḍā al-Qalmūnī (W: 1354H). Tafsīr al-Qur'ān al-Ḥakīm (Tafsīr al-Manār). Al-Hai'ah al-Meṣriyyah al-'Āmah li Kitāb, 1990M.

Ibrāhīm bin 'Umar bin Ḥasan al-Riyāṭ bin 'Alī bin Abī Bakr al-Baqā'ī (W: 885H). Niẓam al-Darar fī Tanāsab al-Āyāt wa al-Sūr. Dār al-Kitāb al-Islāmī, al-Qāherah.

Jābir bin Mūsā Abū Bakr al-Jazāirī (W: 1440H). Aisar al-Tafāsīr li Kalām al-'Ulya al-Kabīr. Maktabah al-'Ulūm wa al-Hukm, al-Madīnah al-Munawwarah, Ed.5, 1424H/2003M.

Muḥammad al-Ṭāhir bin Muḥammad bin 'Āsyūr al-Tūnisī (W: 1393H). Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr (Taḥrīr al-Ma'nā al-Sadīd wa Tanwīr al-'Aql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd). Al-Dār al-Tūnisiyyah li Nasyr - Tūnis, 1984H.

Muḥammad bin 'Alī bin Muḥammad bin 'Abd Allāh al-Syaukānī al-Yamanī (W: 1250H). Fath al-Qadīr. Dār ibn Kathīr, Dār al-Kalam al-Ṭayyib - Damsyik, Beirūt, Ed.1, 1414H.

Muḥammad bin Ḥabān bin Aḥmad bin Ḥabān al-Tamīmī, (W: 354H). Ṣaḥīḥ ibn Ḥabān wa Tamyīz Saqīmuhu min Ṣaḥīḥih, wa Syāzah min Maḥfūẓah. Tartīb: Al-Amīr Abū al-Ḥasan 'Alī bin Balbān 'Alā' al-Dī, al-Fārisī al-Ḥanafī (W: 739H).

Muḥammad bin Ismā'īl Abū 'Abd Allāh al-Bukhārī al-Ja'fī (W: 256H). Al-Jāmi' al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min Umūr RasūlullAh P.B.U.H wa Sunanhu wa Ayyāmuhu (Ṣaḥiḥ al-Bukhārī). Taḥqīq: Muḥammad Zahīr bin Nāṣir al-Nāṣir, Dār Ṭūq al-Najāh, Ed.1, 1422H.

Muḥammad bin Jarīr, Abū Ja'far al-Ṭibrī (W: 310H). Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān. Taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Syākir, Muassasah al-Risālah, Ed.1, 1420H/2000M.

Muḥammad bin Muḥammad bin Maḥmūd, Abū Manṣūr al-Māturīdī (W: 333H). Tafsīr al-Māturīdī (Ta'wīlāt Ahl al-Sunnah). Taḥqīq: Dr. Mazdī Baslūm, Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah - Beirūt, Lubnān, Ed.1, 1426H/2005M.

Muslim bin al-Ḥujāj Abū al-Ḥasan al-Qasyīrī al-Nīsābūrī (W: 261H). Al-Musnad al-Ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi Naql al-ʿAdl ʿan ʿAdl ilā Rasūlullāh P.B.U.H. Tāḥqīq: Muḥammad Fuād ʿAbd al-Bāqī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī - Beirūt.

Syihāb al-Dīn Maḥmūd bin ʿAbd Allāh al-Alūsī (W: 1270H). Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-ʿAẓīm wa al-Sab'u al-Mathānī. Taḥqīq: ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭiyyah, Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah - Beirūt, Ed.1, 1415H.